(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
2024 (حزيران), مجلد 2,عدد 2 ,الصفحات 270-285

الخطاب العقائدي في أراجيز الطف

م.د. وسام حاتم زويد المشلب[1]*
[1] *كلية التربية الأساسية, جامعة سومر ,ذي قار, العراق*

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إماطة اللثام عن الخطاب العقائدي في أراجيز الطف بكل ما يحمله من أبعادٍ دينية وسياسية واجتماعية وأخلاقية ، وقد أوضحنا في التمهيد مكانة الأرجوزة الحربية ، ثُم تلاهُ مبحثين هما خطاب الذات وخطاب الآخر ، وقد دار حوار الأول بين المجاهد ونفسه بغية ترويضها وتهيئتها من أجل الاستعداد التام للتضحية بالنفس في سبيل الدين والعقيدة ، ونصرة ريحانة رسول الله (ص) الإمام الحسين (ع)، أما الثاني فقد جاء موجهاً إلى الآخر الذي تنوعت أطرافه في تلك الأراجيز ، وقد تمت دراسة هذه الأراجيز بأسلوب تحليلي ناقد أظهر جمالياتها الفنية والأسلوبية وما تحمله من مضامين عقائدية .

الكلمات المفتاحية: الخطاب ، العقائدي ، الأراجيز ، الذات ، الآخر .

The ideological discourse in Al-Taf's poems

Lecturer Dr. Wissam Hatem Zuwaid Al-Mashlab[1]*
[1] *college of Basic Education, University of Sumer ,Thi-Qar, Iraq*

Abstract

This research aims to uncover the doctrinal discourse in Al-Taf's narrations, with all the religious, political, social, and moral dimensions it carries. We have explained in the introduction the status of the military narrations. This was then followed by two sections: the discourse of the self and the discourse of the other. The first dialogue took place between the mujahid and himself in order to tame it and prepare it from In order to fully prepare for self-sacrifice for the sake of religion and belief, and to support the pillar of the Messenger of God (PBUH) and Imam Hussein (PBUH). As for the second, it was directed at the other, whose parties were diverse in those poems. These poems were studied in a critical analytical manner that showed their artistic and stylistic aesthetics and what It carries ideological implications.

Keywords: discourse, ideological, narratives, self, other

المقدمة:

إن من يُمعن النظر في أراجيز الطف يجدها ما تزال تحمل بين طياتها كثيراً من المضامين ، على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولتها سواء أكانت أكاديمية أم غيرها ، فالنص الأدبي يبقى مفتوحاً أمام قارئه وخاضعاً للتفسيرات والتأويلات المتعددة ، ولا توجد دلالة نهائية للنص ، ولعل الجانب الذي نهتم بدراسته في هذا البحث ، والذي غاب عن أنظار الكثير من الباحثين هو تسليط الضوء على الخطاب العقائدي في تلك الأراجيز ، والذي تجسد في اتجاهين هما خطاب الذات وخطاب الآخر ، وقد تجلى هذان الخطابان بشكل واضح في تلك الأراجيز، وعلى الرغم من محدودية هذه الأراجيز إلا أنها كشفت لنا عن مقدرة بالغة في الاختزال ، وهذا الاختزال المتضمن إيجاز العبارة ، وتكثيف الدلالة يأتي استجابة إلى

* **Email address: Hwesam431@gmail.com**

سرعة مجريات الحرب إذ لا وقت لإطالة الكلام ، ناهيك عن القدرة العالية على إيصال الرسالة بطريقة واضحة ، من خلال توظيف مفردات ذات مغزى عميق ، وقد دارت مضامين هذا الخطاب حول التعريف بالنفس ، وكشف روح الحماسة والفخر والشجاعة والوفاء التي تحلى بها أصحاب الإمام الحسين عليهم السلام ، وكذلك إظهار الاستعداد التام للتضحية في سبيل نصرة ريحانة رسول الله (ص) ، بالإضافة إلى تقديم النصح للطرف الآخر كنوع من المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان المسلم ، وكذلك التفاخر بالأحساب والأنساب التي شهدتها مطالع تلك الأراجيز ، كما أنها تدشنت بأسلوب الحجاج والمحاورة المبني على الحجج والأدلة ، والهادف إلى الإقناع ، وبيان حقيقة الطرف الآخر التي حاول الإعلام الأموي طمسها ، والسكوت عنها ، ولهذه المسوغات العلمية جاءت دراستنا هذه تحت عنوان الخطاب العقائدي في أراجيز الطف .

التمهيد: مكانة الأرجوزة الحربية .

إن التغني بالشعر أثناء الحرب كان لازمة من لوازمها ، وسلاحاً من أسلحتها التي تُساعد على الانتصار ، ويسود الإيجاز هذا الشعر ، إذ أنه شعر اللمحات السريعة والمواقف الخاطفة ؛ لذلك فمعظمه مقطوعات قصيرة يجري بها الشاعر على سجيته دون تدقيق أو تنقيح ، أنه يعبر عن خاطر يعتمل بصدره ويرمي به في سرعة كما يرمي بسهمه أو يضرب بسيفه ، ولذلك كانت تشيع فيه البساطة وعدم التكلف لما يعترض صاحبه من شواغل الجهاد التي تحول بينه وبين اطالة التفكير ، كما تحول بينه وبين المعاودة للفظ وتجويده وتحبيره[1] .

وطبيعي أن يكون أكثر هذا الشعر من الرجز ؛ لأنه كان وزناً خفيفاً يساعد على الاستجابة السريعة لمثل هذه الحالات ، وأنه وزن ينظم به عامة العرب ، ومن هنا وجدنا أن الرجز الذي قيل في تلك الحروب كان كثيراً جداً ، وهذه الأراجيز الحربية تُعطينا أجمل الصور وأوضحها عن معارك العرب وفنونهم وتقاليدهم في القتال ، وتبدأ معركة الرجز قبل أن يتلاقى الفرسان ، إذ يسبق ذلك الاستعداد للحرب والتهيئة لها [2].

ويبدأ الرجز مع أول نذر الحرب ، فهم حينما يعدون لها أسبابها ويهيئون لها عدتها وعتادها فيجمعون لها السلاح ويستنفرون لها الرجال ويستميلون القبائل ، ويعقدون الأحلاف يكون الرجز مُعيناً وناصراً لهم في ذلك ، ويبعث الرجز الحماس في نفوس المقاتلين حيث يتأهبون للقتال ، ويبدأ بعضهم يحض بعضاً ، ويذكره بعار الهزيمة وحلاوة النصر ، وعليهم أن يمضوا ولا يستسلموا لأية عقبة تعترض طريقهم ، وهم إنما يلجأون إلى مثل هذه الإثارة لأنهم يعلمون أن الحرب النفسية أمضى وأقوى من حرب السلاح ، فكانوا يهيئون المقاتلين تهيئة نفسية قوية لكيلا يسمحوا لأنفسهم بتخاذلٍ أو تراجع [3].

والرجز نشيد حماسي يشد من العزائم ويقوي النفوس الضعيفة ، ويزيد النفوس الأبية إباء ، وقد جاء رجز العرب تعبير صادق لنفوسهم الأبية ، حتى في أحرج المواقف ، وأشد الأزمات ، فهو أسلوب من أساليب الحرب التي يستعملها العرب ؛ لذا نجد الرجز صورة من صورها ، كما كان الرجز أداة يصورون به بلاءهم في المعركة ، إذ كانوا يظهرون شجاعة فائقة ، ونفساً أبية لا يثنيها جرح ، ولا يمنعها ألم عن مواصلة القتال ، كما كانوا يستعلون الرجز ليلقوا في قلوب خصومهم الخوف والرعب محاولين اضعاف نفوسهم ، ومن هنا تتضح أهمية الرجز الحربية أثناء خوض المعارك .

المبحث الأول

خطاب الذات في أراجيز الطف

خطاب الذات: جاء خطاب الذات في أراجيز الطف خطاباً يُحاكي النفس الإنسانية بغية ترويضها واستعدادها للتضحية ؛ لأن ((النفس هي التي تحدد سلوك الفرد ، والنفس هي التي تُدعى إلى تبرير ذلك السلوك أمام الله يوم الحساب ، والنفس هي التي سوف تُعاقب أو تُثاب))[4]، فالتضحية وحُب الشهادة من القيم العظيمة التي غرسها الإسلام في نفوس مُعتنقيه ؛ وذلك لما لها من دور مؤثر في إغناء روحية المجاهدين ، وخلق حالة من الاستعداد والثبات الدائم عندهم .

وشغل مفهوم الذات حيزاً واسعاً في الدراسات الإنسانية ولا سيما النفسية منها ؛ لكونه منطلقاً أساساً في فهم النفس البشرية بعواطفها وانفعالاتها ، وما تتماز به من صفات وخصائص تجعل من الفرد يعي ذاته ويقدرها من جهة ، وتمكنه من التموضع داخل الجماعة من جهة أخرى ، لذلك ((فإن مفهوم الذات يتكون من أفكار الفرد الذاتية التي يمتلكها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين))[5].

وقد تنوعت مضامين الخطاب الذاتي في تلك الأراجيز معبرة عما يجول في ضمائرهم وسرائرهم ، وعلى ما انطوت عليه نفوس قائليها من معالي السمات ، وكريم الصفات .

وقد ضربت هذه الأراجيز مثالاً رائعاً في الشجاعة والتضحية والإباء ، ولعل أول من طالعنا في هذا المضمار قول (عمرو بن خالد الأزدي) وهو يخاطب نفسه ويشجعها ، ويبعث فيها النخوة والحماس بما تجود به ، مذكراً إياها بأن الموت هو غاية كل حي ، وإنه لا بد أن تلاقي حتفها في المعركة أو خارجها ، موضحاً من خلال ذلك تشوقه إلى لقاء ربه إذ يقول :

اليوم يا نفس إلى الرحمنِ تمضين بالروحِ وبالريحانِ

اليوم تجزين على الإحسانِ قد كان منك غابر الزمانِ

ما خط باللوحِ لدى الديّانِ لا تجزعي فكل حيٍ فاني

والصبرُ أحظى لك بالأماني يا معشر الأزدِ بني قحطانِ [6]

يحمل هذا النص الذي جاء بأسلوب حوار الذات أو ما يعرف عند القدماء بأسلوب التجريد خطاباً عقائدياً موجهاً إلى ذات الشاعر ، فهو يعبئ نفسه ويحفزها إلى الانطلاق نحو ميادين الجهاد ، والاستعداد العالي للتضحية ؛ وذلك لإيمانه المخلص بزوال الدنيا وفنائها ، واعتقاده الراسخ بخلود الآخرة ، لذا نجده يدعو إلى نبذ الدنيا والتعلق بها ، مجسداً ذلك بأسلوب النهي (لا تجزعي) ، فخطابه يؤكد على حرصه على الموت أكثر من الحياة ، ولِمَ لا يُقْبِل على الموتِ ؟ وهو يُدرك ما أعده الله للمجاهد في سبيل الله من جزاء وثواب ، كما أكد ذلك بعبارة (اليوم تجزين على الإحسان) ثم زاد من استثارة نفسه فخاطبها ، بأن الموت هو مصير الإنسان ، وإن الشهادة هي الأمنية التي طالما تمناها ، ثم دعا نفسه بأن تواجه قدرها بالصبر والإيمان ، وهذا هو ديدن المجاهدون الذين باعوا النفس ليشتروا المبادئ ، ويفوزوا بنعيم الآخرة .

و كان (سعد بن حنظلة التميمي) نموذجاً آخرَ للشاعر المجاهد الذي تميز بالجرأة والإقدام يوم الطف كما في قوله :

صبراً على الأسياف والأسنة صبراً عليها لدخول الجنة

وحور عينٍ ناعمات هُنَّ لمن يريد الفوز لا بالظنة

يا نفس للراحة فاجهدنه وفي طلاب الخير فارغبنه [7]

صوّر الشاعر في هذا النص رغبته الواضحة بنيل الشهادة ، وتلهفه إلى الجنة وأطيابها ، لذا نجده يخاطب نفسه ويدعوها إلى التحلي بالصبر وتحمل ضرب السيوف والسهام ، وأن تجتهد من أجل الفوز بالراحة الأبدية ، معبراً بذلك عن عقيدته

الصادقة ، وإيمانه المخلص ، واستطابة التضحية من أجل عقيدته ، وهكذا قدم أصحاب الإمام الحسين عليهم السلام أنفسهم بسخاء من أجل الدفاع عن مبادئ الرسالة ، والذود عن حمى الإسلام .

وفي ذات المعركة وقف (القاسم بن الحسن)عليه السلام مخاطباً نفسه وهو يرتجز:

لا تجزعي نفسي وكلّ فاني اليومَ تلقين ذرى الجنانِ [8]

أراد القاسم بن الإمام الحسن عليهما السلام في محاورته لنفسه أن يُنهيها ـ لا تجزعي ـ عما قد تُبديه من جزع وخوف وتردد ، أي أن تطرح جانباً كل تلك المخاوف ، وأن تكون مستعدة لخوض هذه المعركة العقائدية بكل ما تحمله من أبعاد دينية واجتماعية وسياسية ، مُعرباً بذلك عن حبه للاستشهاد من أجل العقيدة الدينية ، واستبساله في الدفاع عنها ، ولا سيما هي السبيل الوحيد الذي يمنحه القوة والإرادة والإقدام ، فضلاً عن الفوز بالجنة ونعيمها الدائم .

وجسد لنا الإمام العباس عليه السلام صورة رائعة في خطاب النفس ، صورة عبرت عن روح الأخوة والإباء ، وسطرت أروع مضامين التضحية والإيثار في قوله :

يا نفس من بعد الحسين هُونِي فبعده لا كنتِ أن تكوني

هذا الحسين واردُ المنونِ وتشربين باردَ المعينِ

تالله ما هذا فعالُ ديني ولا فعال صادقِ اليقينِ [9]

لقد استطاع الإمام (ع) أن يعبر من خلال أرجوزته عن أحاسيسه النبيلة ، ومشاعره الصادقة تجاه أخيه الإمام الحسين (ع) وعياله ، وهذا ما أكده في مخاطبته لنفسه التي يدعوها إلى الاستعداد للهوان ، أي إلى الضعف والانكسار ، مُبيناً بذلك إن كل شيء هيّن ويهون من أجل الإمام الحسين (ع) ، وفي البيت الثاني يعود ويخاطب نفسه مرة أخرى متسائلا إياها ـ وهو يقف على مقربة من ماء الفرات ـ كيف لك أن تشربين الماء البارد الصافي ، والحسين (ع) يشربُ من كأس المنية ، فامتنع عن شرب الماء تأسياً بالحسين وأهله (عليهم السلام) الذين حُرموا من الماء ، مُعقباً على هذا وهو يقسم بأن ذلك ليس من أخلاق صاحب الدين ، ولا من فعال المؤمن الصادق اليقينِ ، وبذلك فقد تفرد الإمام العباس بموقفه هذا الذي أعرب به عن عظيم وقفته ، وشدة بأسه ، وصلابته في الدفاع عن الإسلام وأهله بالقول والفعل .

ويحتل استشهاد العباس (ع) موقعاً متميزاً ؛ وذلك لما يحمله من دلالات ومعاني تعود بالدرجة الأساس إلى مكانته ، وحقيقة الدور الذي قام به في واقعة الطف ، فقُدّر للعباس (ع) أن يُجاهد بلسانه ، وأن يُنافح عن الإسلام بسيفه ؛ ليحظى بنور الجنة عند خالقه عز وجل ، وهنا نجده أيضاً منادياً نفسه ومخاطباً إياها بقوله :

يا نفس لا تخشي من الكفارِ وابشري برحمة الجبارِ

قد قطعوا ببغيهم يساري فاصلهم يا ربي حرّ النارِ [10]

يتضح من هذين البيتين أن العباس (ع) شعلة متقدّة من الإيمان ، فهو يخاطب نفسه بأن لا تخشى جموع الكفار ـ على الرغم من كثرة عددهم وعدتهم ـ ولعل نعتهم بالكفار جاء من أجل تعريتهم ولفت انتباه المتلقي بأن هؤلاء قد خرجوا من ملة الإسلام بمقاتلتهم ابن بنت رسول الله (ص) وآل بيته الأطهار ، وصحبه الأخيار ، وضمن هذا الإدراك الواضح لأبعاد الشهادة ، والعقيدة الصادقة نجده يدعو نفسه إلى عدم التردد ، وأن تتخطى بإيمانها هذا التحدي الذي تواجهه ، مُبشراً إياها

برحمة الجبار ، وما ينتظرها من نعيم الآخرة ، وما ستحظى به من ثواب وجزاء في جنات الخلد ، لذا نجده لا يأبه بفقد اليد اليسرى ، ولا ترهبه الجراح العميقة طالما أنه موقف يستهدف الرسالة المحمدية ، واستمرار مسيرتها الذي هو أسمى من الأعضاء ، وأعظم من الإنسان ذاته .

وبذلك جسد لنا العباس (ع) مرتبة متقدمة في التضحية وحب العقيدة التي آمن بها ، فعندما فقد جزءاً من جسده لم ينتابه اليأس ، ولم تساوره مشاعر الحزن ، بل نجده يواجه الموقف بثبات المؤمنين ، وعزيمة المجاهدين الذين إن فقدوا عضواً احتسبوه عند الله تعالى الذي أكرمهم بالإسلام ، وفي الشطر الأخير يبتهل العباس (ع) ضارعاً إلى الله بأن يجعل مصير هؤلاء الكافرين في جهنم ، وأن يذيقهم حر نارها جزاءً بما فعلوه مع الحسين وآل بيته عليهم السلام .

وتتوالى تلك الأراجيز الحماسية التي ترنم بها العباس (ع) ، والتي عبرت عن الإرادة الصلبة في الصبر والثبات ، وتحدي الموت والأعداء على حد سواء بقوله :

لا أرهبُ الموتَ إذا الموتُ أتى حتى أوارى في المصاليت لقا

نفسي لابن المصطفى الطهر وقا إني أنا العباس أغدوا بالسقا

ولا أخاف الموت يوم الملتقى [11]

الحوارات الذاتية التي أجراها الإمام العباس (ع) في هذا النص عبرت عن فدائيته ، وحميّته لعقيدته ، وتمجيد الموت في ساحة المعركة ، ما دام هذا الموت هو من أجل الذود عن أخيه الحسين وأهل بيته عليهم السلام ، ولعل شعوره بأنهم المنافحون الوحيدون الحقيقيون عن الإسلام ، منحه القدرة على مواجهة الموت دون خشية من خلال التعالي عليه ، فهو غير هيّاب للموت ، مُعرباً بذلك عن شجاعته ، وإنه صعبٌ عند ملاقات الأعداء ـ على الرغم من كون المعركة كانت غير متكافئة من ناحية العدة والعدد ـ لذا نجده مندفعاً لقتالهم يحدوه الإيمان الصادق ، والبحث عن الشهادة في سبيل الله .

ورجز العرب يبرز لنا دافعهم إلى الاستبسال في القتال ، وهو في اعتقادهم بأن الهزيمة فيها الذل والعار ، وهذا ما أفصح عنه الإمام الحسين (ع) وهو يخاطب نفسه بقوله :

الموتُ أولى من ركوبِ العارِ والعارُ أولى من دخولِ النارِ [12]

جاء تفضيل الموت في قول الإمام الحسين (ع) لعدة اعتبارات ، منها أن الموت هو أفضل من العار والشنار ، الذي سيلاحقهم في حال تسليم أمرهم بيد هؤلاء المارقين ، مُبيناً أن الموت نهاية مجيدة في ظل مواجهة أعداء الإسلام ، ومفضلاً في الشطر الثاني العيب الأخروي على العيب الدنيوي ، لذلك فإن ذكر الموت غالباً ما يكون متبوعاً بالوصول إلى الجنة التي هي المثوى الذي وعد الله به عباده الذين يُتوفون وهم يقاتلون في سبيله ، والخلاص من النار التي أُعدت للكافرين .

ويدعو الإمام أحمد بن الحسن (ع) نفسه إلى تحمل العطش والصبر عليه أثناء المعركة مُتحدياً الصعاب التي تواجهه وهو يُقاتل الأعداء بقوله :

أصبرْ قليلاً فالمُنى بَعدَ العطشْ فإن روحي في الجهادِ تنكمشْ

لا أرهبُ الموتَ إذا الموت وحشْ ولم أكنْ عندَ اللقاءِ ذا رعشْ [13]

يتضح أن الإمام (ع) يأمر نفسه بالصبر من خلال توظيفه لصيغة الأمر في مطلع البيت الأول ، راغماً إياها على الثبات ، مبيناً بأن هذا الصبر لن يطول مجسداً ذلك بلفظة (قليلاً) ، وإن ما يتمناه سيناله بعد ذلك الجهاد المصحوب بالعطش ، على الرغم من كون روحه لا تتحمل العطش ، بل تنكمش وتتراجع قوتها ، وفي البيت الثاني أعرب الإمام (ع) عن شجاعته مبيناً أنه لا يرهب الموت على الرغم من وحشته وصعوبته ـ بما يمليه عليهم من فراق الأهل والأحبة ـ ولا ترتعش أعضائه ، ولا ترتعد فرائصه عند مواجهة الأعداء ، ويمكن القول لقد أثبت الإمام (ع) إن السعي إلى الموت في هذه المعركة إنما هو بالأحرى توق فردي إلى السعادة الأبدية ، وإن هذه المحنة هي بمثابة التضحيات الضرورية للنصر النهائي الأخروي ، وما سيؤول إليه مصيرهم في المآل الأخير للموتى .

وتنساب عبارات الإيمان من فم عبد الله بن مسلم بن عقيل (ع) وهو يشوق نفسه بلقاء أبيه ، وفتية أفنوا حياتهم في سبيل دينهم وعقيدتهم كما في قوله :

اليومُ ألقى مُسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبي

ليسوا بقومٍ عُرفوا بالكذبِ لكن خيار وكرام النسبِ [14]

يخاطب عبد الله (ع) نفسه بلهجة صادقة بعد أن سرت العقيدة في دمه ، فحركت كوامن الانطلاق والتحرر في نفسه ، فأخذ يطربُ للاستشهاد ، ليحظى بثواب الآخرة ، واللحاق بأبيه ومن سار على نهجهم ، مبيناً بأن هؤلاء عُرفوا بصدقهم ووفائهم لعقيدتهم التي ضحوا من أجلها ، وسالت دمائهم في سبيلها ، فاسترخصوا الموت واستطابوه ليفوزوا بخلود الآخرة ، فهم من خيار الأنصار وأكرمهم حسباً ونسباً ، وبذلك جاء حديث عبد الله زاخراً بتمجيد استشهادهم ، وتعظيم أجرهم لما قدموه لنصرة الدين والحسين (ع) ؛ لأن الشهادة في نظرهم وسام فخرٍ يتقلدونه ، وعنوان بأسٍ لهم ولذويهم .

وبعد هذا العرض للشواهد الخاصة بخطاب الذات نستطيع القول إن الحوار الذي جرى بين المجاهدين وأنفسهم هو حواراً عقائدياً توجيهياً ملهماً للنفس الإنسانية باتباع طريق الجهاد في سبيل الدين والعقيدة ، فهم مدركون لعظمة المهمة التي أنيطت بهم ، بعد أن وحد الإسلام قلوبهم ، ونور بصائرهم ، فحرصوا على إبراز قيم الجهاد والإقدام ؛ كونها معاني متقدمة في التضحية ، واستطابة الموت ، فحفزوا أنفسهم لنصرة الإمام الحسين (ع) ، وأشاروا إلى ما أعده الله للشهيد من منزلة وفضل في الحياة الآخرة، ومجد مؤثل في الحياة الدنيا ، وبذلك فقد نجح أصحاب الحسين (ع) في التغلب على نوازع أنفسهم ، وتوجيهها تلك الوجهة الخيرة التي تحمل بين ثناياها الزهد بالدنيا ، والتضحية بالنفس من أجل الفوز بالحياة الآخرة.

المبحث الثاني

خطاب الآخر في أراجيز الطف

خطاب الآخر : تمثل خطاب الآخر في أراجيز الطف بصورٍ متنوعة ، فأحياناً يكون موجهاً إلى العدو ، وأحياناً يكون موجهاً إلى الصديق أو القريب ، واختلف الباحثون حول معنى الآخر سواء على المستوى اللغوي أم الاصطلاحي ، إذ وردت لفظة الآخر في لسان العرب ((بمعنى أحد الشيئين ... والآخر بمعنى غير ، كقولك رجل آخر ، وثوبٌ آخر)) [15] أما اصطلاحاً فـ ((الآخر هو الذي يخالف الذات والعقيدة والثقافة ، والعلاقة معه محكومة بالتصادم والمواجهة)) [16] فالآخر هو ما كان مختلفاً مع الأنا أو الذات سواء من حيث الديانة كالمسلم والمسيحي أم من حيث الثقافة كالمشرقي

والمغربي وغير ذلك من الثنائيات المتضادة[17] ، وقد يكون ((أحد الأفراد أو يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم ، فالآخر قد يكون قريباً وقد يكون بعيداً ، وقد يكون صديقاً وقد يكون عدواً))[18] .

ومن خلال قراءتنا لتلك الأراجيز وجدنا أن خطاب الآخر غالباً ما يأتي ممزوجاً ومستهلاً بالتعريف عن الشخص المُرتجز ، وهذا ما أفصح عنه الحر بن يزيد الرياحي بقوله :

إني أنا الحر ومأوى الضيفِ أضربُ في أعناقكم بالسيفِ

عن خير من حل بأرضِ الخيفِ أضربكم ولا أرى من حيفِ[19]

يلاحظ في مطلع هذا النص الذي ارتجزه الحر إنه بدأ خطابه بالتعريف بنفسه ، وبث الرعب في نفوس جيش ابن سعد ، ولا سيما أن الجميع يعرف شجاعته ، وعدم خوفه من الحروب ، فهو من علية القوم في قبيلته ومجتمع الكوفة ، فيما حمل الجزء الثاني من الشطر الأول صفة أخلاقية سامية يتسم بها العرب بشكل عام ، فإكرام الضيف من الصفات الحميدة التي يتصف بها العرب على مر العصور ، فهذا الأمر يذكر الجيش الأموي بجذوره العربية الأصيلة من جانب ، وتذكير أهل الكوفة بفضائله عليهم ، وبذلك كسا الحر نصه بأهم خصلتين تتباهى بهما العرب ألا وهما الكرم والشجاعة ، فهما من شمائل هذا البطل المقدام ، فالكرم هو من القيم النبيلة العُليا التي تضفي على صاحبها المروءة ، مبيناً أنها من خصاله الدائمة ، فبيته يتسع لكل ضيف يقصده ، فهو مفتوح على الدوام لاستقبال الضيوف ، وتوفير المأوى اللازم للجميع ، وكفاه أنه عنوان للكرم ، وفي الشطر الثاني أعرب عن شجاعته من خلال توجيه خطابه نحو الأعداء وضربهم في أعناقهم دفاعاً عن خير من نزل في أرض كربلاء الإمام الحسين (ع) وآل بيته الأطهار ، ولا ريب في ذلك فهو أشجع أهل الكوفة ، ومن ساداتها وأشرافها ، ولعل توظيف مفردة (الضرب) التي تحمل في طياتها الكثير من الدلائل جاءت لتعبر عن عدم تساهله وتردده في إنزال العقاب بالأعداء ، بالإضافة إلى الاستعداد التام لمواجهة الجيش الأموي ، فالحر اتخذ من الكرم وسيلة لتمجيد أفعاله ، وبذلك جعل الحر الكرم يعانق الشجاعة معبراً عن عمق إيمانه ، ورسوخ عقيدته في فكره وقلبه ، ولا يرى أن هناك ظلماً أو جوراً في ضرب أعناق هؤلاء والقصاص منهم كما أكد ذلك في عبارة (أضربكم ولا أرى من حيفِ) ، فهو قادر على الوصول إلى الأعناق بسهولة من خلال الضرب الشديد بالسيف ، والحاق الهزيمة السريعة بالأعداء ، فهو يمتلك القدرة والدراية الكاملة بأصول الحرب ، وكيفية الانتصار السريع وقطع الرقاب ، وبذلك جسد الحر موقفاً قل نظيره بعد انتقاله من معسكر يزيد إلى معسكر الحسين (ع) ، ضارباً بذلك مثلاً بموقفه الفريد ، ودفاعه المستميت عن آل بيت النبوة ، وموضع الرسالة .

وتستمر المواقف الشجاعة لأصحاب الحسين ، وبذلهم لمهجهم دون الحسين وعياله عليهم السلام ، وللشجاعة جذوراً عميقة في النفس العربية ، اكتسبت بطابع مشرق ، فهي ليست نزعة تهورية أو مغامرة يشوبها التردد أو الخوف ، إنما هي سجية قدستها الحياة العربية لما فيها من المفاخر ، ولكونها تمثل حلية العربي وزينته[20] فهي عند العرب تعني الثبات في الميدان ،ومواجهة الخصم[21] ، وهذا ما أقدم عليه زهير بن القين مخاطباً أعوان يزيد بقوله :

أنا زهيرٌ وأنا ابن القينِ أذودكم بالسيفِ عن حسينِ[22]

استحوذ مفهوم الثقة بالنفس والشجاعة على خطاب ابن القين الذي وجهه إلى أعدائه ، ولعل اعتماد هذا الأسلوب هو الذي يزيد من ثباته ، ويزعزع ثقة الآخر من خلال التلاعب به نفسيا ،

ومن المعروف أن الفارس عندما يفخر بنفسه وعدته الحربية كما فعل ابن القين (اذودكم بالسيف عن حسينِ) إنما يريد إظهار الاهتمام بفعله البطولي الفردي ، وابراز شجاعته وقهر أعدائه ودحرهم بسيفه معززاً بذلك القول بالفعل ، لكي يحقق ما يصبو إليه من خلال نصرة الإمام الحسين (ع) وتحقيق طموحه في نيل الشهادة ، والفوز بنعيم الآخرة ، وبذلك أظهر أصحاب الحسين (ع) قابليات رائعة في ميدان الفروسية والقتال الفردي[23] .

وكان للمرأة في واقعة الطف حضورٌ ميداني وأدبي في مقارعة الآخر ، فالمرأة ملهمة للرجل يستمد منها كل معاني القوة والعزم ، وهو حين يحارب تتراءى له صورتها ، فهي تزهو به إذا انتصر ، وكثيراً ما كانت النساء يرافقن الرجال إلى ساحات الوغى ، وكُنّ يُثِرنَ الرجال ويحفزنهم للاندفاع ، وهذا ما برهنته أم عمرو بن جنادة بن الحارث السلماني ، فهي إحدى المؤمنات اللواتي كُن يدفعن بأبنائهُنَّ إلى ميادين الجهاد ، بغية المشاركة في صنع ملاحم الإسلام ، ونصرة الإمام الحسين (ع) ، فتقدم ولدها وهو ابن الإحدى عشرة سنة مرتجزاً :

أميري حسينٌ ونعمَ الأميرِ سرورُ فؤادِ البشيرِ النذيرِ

عليٌ وفاطمة والداه فهلْ تعلمون له من نظيرِ

له طلعة مثل شمس الضحى له غرةٌ مثل بدرٍ منيرِ [24]

وموقف المرأة لا يقف عند تشجيع الرجال المقاتلين ، وإنما يتعدى ذلك إلى تشجيع أنفسهن وهن يصطلين بنار الحرب ، والنزول مع الرجال في ساحة الوغى ، ويحملن على الأعداء ، وهذا ما حصل مع أم عمرو بعد أن سمعت بنبأ استشهاد ولدها ، فأخذت عموداً وتوجهت نحو الأعداء وهي ترتجز قائلة :

أنا عجوزٌ في النسا ضعيفة خاوية بالية نحيفة

أضربكم بضربةٍ عنيفة دون بني فاطمة الشريفة [25]

إن المتمعن في خطاب أم عمرو يجده خطاباً عقائدياً انفعالياً جاء كردة فعل على مقتل ولدها ، محاولة بذلك الانتقام من قتلته ، والدفاع عن أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام ، وبذلك جسدت أم عمرو صورة لامعة عن المرأة المجاهدة المضحية ـ على الرغم من تقدمها بالعمر كما وصفت نفسها بالعجوز ، الضعيفة ، الخاوية ، البالية ، النحيفة ـ وهذا الحال حقيقة محل فخر واعتزاز للمرأة المسلمة بأن تقدم ولدها شهيداً أمامها وتلتحق به للدفاع عن ابن بنت رسول الله (ص) وآل بيته ، وفي البيت الثاني عبرت عن جام غضبها تجاه هؤلاء المنافقين من خلال توعدها إياهم بالضرب العنيف المبرح ، وبذلك اثبتت أم عمرو إنها مثال رائع يقتدى به في تلك المواقف الصعبة ، واقتحام الأهوال ، من أجل العقيدة ، والدفاع عن بني فاطمة الشريفة (ع) ، وهكذا بقي موقفها من المواقف الخالدة في تلك الواقعة ، والأكثر وقعاً في نفوس المتلقين ، معبرة بذلك عن عمق إيمانها ، وحب عقيدتها .

وقد ظهرت نزعة الفخر بالأنساب عند أصحاب الحسين (ع) ، إذ إن عراقة النسب من المآثر والمحامد التي تغنى بها الأصحاب في أراجيزهم معربين بذلك عن ارتباطهم بأقوامهم ، والاعتزاز بهذا الانتماء[26] ، وهذا ما أعرب عنه (نافع بن هلال الجملي) عندما ودع الحسين (ع) وخرج لمقاتلة الأعداء وهو يرتجز بقوله :

أنا الغلامُ اليمني الجملي ديني على دين حسين وعلي

إن أَقتل اليومَ فهذا أملي [27]

جمع نافع في خطابه للآخر بين فخره بقبيلته وانتمائه الديني ، إذ استعمل الشاعر أسلوباً غير مباشر في إبراز تدينه وأدائه للفرائض وفي مقدمتها فريضة الاستشهاد في سبيل الدين كما أكد ذلك بقوله (إن أُقتل اليوم فهذا أملي) فهذا الاستشهاد هو غاية ما يصبو إليه ، ويرنو إلى تحقيقه ، وبذلك يمكن القول إن نافعاً قد زاوج بين الشجاعة وعراقة النسب من جهة ، وبين تعظيم معتقده الديني الذي ينحدر من الإمام علي وولده الحسين عليهما السلام ، لذا فهو يهب حياته لينال رضا الله سبحانه وتعالى الذي يوصله إلى الفوز بالآخرة .

وينهج الأسلوب ذاته عبد الرحمن اليزني :

أنا ابن عبد الله من آل يزن	**ديني على دين حسين وحسن**
أضربكم ضرب فتى من اليمن	**أرجو بذاك الفوز عند المؤتمن** [28]

إن الحس القبلي والمناطقي في خطاب عبد الرحمن يبدو جلياً عبر نبرات الفخر التي أطلقها ليعزز منزلته ، ويشيد بقبيلته ، لكي يعلو شأنهم بين القبائل ، مُعرباً في الوقت نفسه عن شجاعته وشجاعة أهل اليمن ، من خلال توليف مفردات بطولية كالضمير (أنا) الذي يعبر عن البطولة الفردية ، ولفظة (الفتى) التي هي كناية عن القوة التي يتمتع بها ، وكذلك لفظة (أضرب) التي تدل على الحركة والمشاركة الفعلية بالقتال ، فضلاً عن الفخر بالنفس والبأس، وفي الجانب الآخر حمل خطابه نزعة عقائدية ، فهو يؤمن بالمعتقد الذي سار عليه الحسن والحسين عليهما السلام ، لذا نجده قد ضحى بنفسه دفاعا عن الحسين (ع) وآل بيته الأطهار ، مُفصحاً بذلك عن صدقه ، وإيمانه الراسخ بعقيدته ، راجياً من وراء ذلك الفوز عند الله سبحانه وتعالى ، وبذلك عكست هذه الأرجوزة ملامح البطولة الفردية بكل ما تعنيه من الشجاعة والإقدام وسلوك الطريق الصعب من أجل تحقيق غايته وأهدافه الكبرى .

ويسلك عمرو بن أبي المُطاع الجعفي المسلك ذاته في مخاطبة أعداء الحسين (ع) ، متوعداً لهم بمواجهة ملحمية ، ومُعرباً عن اهتمامه بعدته الحربية ، ولعل من البديهي القول أن اهتمام الأصحاب بالسلاح يرجع إلى أهميته الخاصة ودوره في حياة العربي ، فهو وسيلة لا غنى عنها في الحفاظ على أمنه ووجوده وقيمه ، ومن المنطقي أن أهمية السلاح وضرورته لا تتحدد باحتيازه أو امتلاكه الوفير ، بل بفعاليته المرتبطة بالقدرة على استعماله[29] ، وبذلك كان العربي يزهو بما أعده للحرب من أنواع السلاح وهذا ما أفصح عنه عمرو بقوله :

أنا ابن جعفٍ وأبي مُطاعُ	**وفي يميني مرهفٌ قطاعُ**
وأسمرُ في رأسهِ لماعُ	**يُرى له من ضوئه شعاعُ**
اليومُ قد طاب لنا القراعُ	**دون حسين الضربُ والسطاعُ**
يرجى بذاك الفوز والدفاعُ	**عن حرّ نارٍ حين لا انتفاعُ** [30]

إن النبرة الحماسية في خطاب ابن الجعفي تعبر عن مدى تحمسه واستعداده إلى مقاتلة هؤلاء المنافقين ، إذ بدأ عمرو خطابه بالتعريف بنفسه وهي ظاهرة طالما اعتاد عليها أصحاب الحسين (ع) عند افتتاح أراجيزهم ، ثُم أخذ يفخر بسيفه واصفاً إياه بأنه مرهفٌ قطاع ، موظفاً صيغة المبالغة في لفظة (قطّاع) للدلالة على شجاعته وصرامة سيفه و كثرة قطعه

لرؤوس الأعداء ، ثُم ينتقل إلى وصف رمحه الأسمر ولمعانه ، وكأنه يشبه رأس رمحه بالكوكب اللامع ليلاً ، أو أن رمحه يتلألأ من حدته كالبرق في سحاب مكلل ، وبذلك كان عمرو فخوراً بما أعده لتلك المعركة ، من خلال امتداحه لسيفه الذي وصفه بالحدة والمضاء ، إضافة إلى كونه يعبر عن شجاعة هذا المجاهد ، فاستعمال السيف في المعركة هو دليل على شجاعة صاحبه ؛ لأن طبيعة استعماله تقتضي الالتحام التام مع العدو ، على عكس عدة الحرب الأخرى التي يتم التعامل بها عن بعد ، وفي البيتين الأخيرين أفصح عمرو عن خطابه العقائدي بعد أن أعرب عن صبره في مقارعة أعداء الحسين (ع)، وطول ذلك اليوم الذي اشتد به القتال بين الطرفين ، مُعرباً بذلك عن أمله في نيل الشهادة تحت ظلال السيوف ، وأسنة الرماح ، راجياً من وراء ذلك الفوز بالآخرة ، والنجاة من حر نارها والخلود فيها ، وبذلك اختار عمرو ميتة الأبطال باحثاً عن بقاء خالد في ذاكرة الناس .

وفي موضعٍ آخر برز إليهم علي بن الحسين (عليهما السلام) وهو أشبه الناس برسول الله (ص) خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً ، مخاطباً ومتوعداً إياهم بالضرب الشديد حتى ينال منهم إذ يقول :

أنا علي بن الحسين بن علي نحنُ وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكمُ فينا ابن الدعي أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضربَ غلامٍ هاشمي علوي [31]

جاء خطاب علي بن الحسين (ع) خطاباً عقائدياً تعريضياً ، فهو من جانب يفخر بنفسه ونسبه وشجاعته ، وهنا لا بد للمبارز أن يشجع نفسه بشيء من الرجز يذكر به فخره بانتسابه إلى آل الرسول (ص) ، ومن جانب آخر يقوم بالتعريض بخصمه الذي وصفه بـ (ابن الدَّعِيُّ) وهو المنسوب إلى غير أبيه ، أي المشكوك في نسبه ، وهو بذلك يوجه إليهم طعنة الرجز قبل طعنة السيف ، وهكذا كان الرجز لازمة من لوازم الحرب ، يرهب به المقاتل خصمه ، ويوهن من قوته ، ويضعف من عزيمته ، وهذا التنكيل والتشهير بالعدو لهو أكثر وقعاً في نفوسهم من ضرب السيوف ، ووقع الرماح .

وكان أصحاب الحسين عليه السلام عبارة عن لوحةٍ فنية ، فقد شارك في تلك المعركة طيف جميل ، وبعيداً عن عرق هذا المجاهد أو دينه فهذا جون الأسود يخاطب أعوان يزيد ، واصفاً إيهام بالكفار بقوله :

كيفَ ترى الكُفار ضربَ الأسودِ بالسيف ضرباً عن بني محمدِ

أذبُ عنهم باللسان واليدِ أرجو به الجنة يومَ المردِ[32]

استعمل (جون) في خطابه للآخر أسلوب الاستفهام لعرض صورته البطولية ، وكشف عما يختلج بصدره ببوح شِعري ، وقد أعانه هذا الأسلوب في نقل تجربته الشعورية إلى المتلقي ، وقد صرح بالسواد تصريحاً مباشراً ، وهذه المباشرة اتخذت أبعاداً مختلفة ، انطلاقاً من نظرة المجتمع المتعالية عليه ؛ لأن نظرة المجتمع له جعلته يحمل عقدته في كل حنايا نفسه ، وأظهرت إفرازاتها على شخصيته[33] ، وموقف جون هنا هو موقف أخلاقي قبل أن يكون بطولياً ، فجون ذلك العبد الأسود عبر عن وفائه لأسياده بذلك الموقف الشجاع ، على الرغم من كونه يعاني سايكولوجيا من عقدة اللون والعبودية ، ولعل نعته لأعوان يزيد بالكفار وتوعده إياهم بالضرب ذائداً عن آل محمد (ص) باللسان واليد ، هو خير دليل على موقفه الشجاع والعقائدي ، وقد جاء ذكر جون لسيفه الصارم هو من أجل أن يبين (الأنا) الفاعلة التي تفعل في الآخر فعلها ، فالسيف يمثل نفس الشاعر المتحفزة المتوثبة والتي لا يقر لها قرار إلا بالانتقام من الأعداء ، كما جاء فضاء النص دالاً

على نفسية جون المحتدمة ، ومعبراً عن شدة هيجان عواطفه وتأججها تجاه الأعداء ، وهم في حقيقة الأمر ذلك المجتمع الذي يسخر من الأسود ويستنقص منه ، لذا أراد جون أن يكون مميزاً بهذه المشاركة مظهراً لقواه البدنية ، وثقته بنفسه ، ومحاولاً بذلك التغلب على عبوديته ، والتخلص من هذه النظرة الدونية ، عله يجد مكاناً يستريح به من الظلم ، ومتنفساً تصفو به نفسه من خلال شرب كأس المنون في سوح الجهاد ، وهذا ما أكد عليه بذكره للمكان المرجو وهو (الجنة يوم المورِدِ) ، ومن خلال هذه الرؤية يمكن القول أن جون قد فقد الإحساس بالخوف من الموت ؛ لأنه لم يعد يرى غموضاً في الموت ، فقد تجلى له الموت في كل شيء في الحياة .

ومن الصور الرائعة التي قيلت في خطاب الآخر ما قاله حبيب بن مظاهر الأسدي إذ يقول :

أنا حبيبٌ وأبي مظهّر فارسُ هيجاءٍ وحربٌ تُسعرُ

أنتمْ أعدّ عدّة وأكثرُ ونحنُ أوفى منكمُ وأصبرُ

ونحنُ أعلى حجة وأظهرُ حقاً وأتقى منكمُ وأطهرُ (34)

استهل حبيب خطابه بالفخر بنفسه وبمن أنجبه مبيناً بأنه فارسٌ مجرب بالحروب ، وأتون سعيرها ، وبتعريفه للذات أراد أن يبين للجيش الأموي أن القادم للقتال ليس شخصية مغمورة بل هي معروفة ولديها رصيد اجتماعي ومكانة مرموقة في مجتمع الكوفة ، إضافة إلى مكانته في قومه ، وفي الشطر الثاني تناول شيخ الأنصار جانباً مهماً ألا وهو الفروسية وخوض الحروب فهما من معالم العرب ليؤكد لهم بذلك على شجاعتهم ، وأنهم لم يأخذهم الخوف من كثرة عدد الأعداء وعدتهم ، بل كانوا عنواناً للصبر والثبات والوفاء الذي ينم عن قوة العقيدة ، وروح الإقدام اللذان تحلا بهما أصحاب الحسين عليه السلام ، وفي البيت الأخير ركز حبيب في خطابه على امتلاك البصيرة ووضوح الرؤية لدى معسكر الحسين (ع) مقابل الضلال واتباع الدنيا لدى جيش بني أمية ، مُعرباً بذلك عن قوة حجة أصحاب الحسين (ع) وأحقيتهم ، فضلاً عن كونهم أكثر تقوى وإيماناً من هؤلاء الأعداء ، فالتقوى التي يحملها أصحاب الإمام (ع) هي غير متوافرة على الاطلاق عند أصحاب المطامع الدنيوية ، وبذلك جاء خطاب حبيب ترنيمات حماسية تُعبر عن صدق المبدأ ، والاستعداد العالي للتضحية ، كما أنه خطاب فند حجج الأعداء ، ودحض مزاعمهم ، ومن هنا أوصل حبيب ما يجول في فكره من مآرب عبر خطابه الموجه إلى الأعداء ، وهو خطاب حمل بين ثناياه الهجاء الهادف والجاد ، والذي أسهم في تجريم الخصوم واستلابهم عناصر القوة والهيبة التي كانوا يعتدون بها .

وكان للنصارى نصيب في واقعة الطف ، وهذا ما جسده (وهب بن حباب الكلبي) ذلك النصراني الشجاع الذي قاتل ببسالة حتى استشهد بين يدي الإمام الحسين عليه السلام ، فبرز مخاطباً الأعداء قائلاً :

إن تنكروني فأنا ابنُ الكلبي سوف تروني وترونَ ضربي

وحملتي وصولتي في الحربِ أدركُ ثأري بَعدَ ثأر صَحْبِي

وأدفع الكرب أمام الكرب ليس جهادي في الوغى باللعبِ (35)

يعرض وهب في هذه المقطوعة صورة للبطولة الفردية مُظهراً قدرته على الاقتحام وقوته ، وتعظيم أفعاله ، ووهب في خطابه عن الحرب لم ينس انتسابه فهو ابن الكلبي ، وقد جسد وهب في هذه المشاركة موقفاً مختلفاً عمن سبقوه، إذ جاءت نصرته منطلقة من طبيعة الالتزام الإنساني والمجتمعي الذي يُعيد الفرد إلى أصله ، بعد أن جاشت في نفسه العواطف ،

وتحركت في داخله الأحاسيس حينما رأى الإمام الحسين وأهل بيته (ع) بهذا الموقف الذي يتطلب المناصرة والمساندة ، ولعل موقف وهب هنا تفوق على صليل السيوف وقرقعة السلاح ، إنه موقف عبر به عن شجاعة الرأي وسداده من رجل لم يكن معروفاً في ذلك الوسط وهذا ما جسده بقوله (إن تنكروني) ، متوعداً أعداء الإمام الحسين (ع) بالضرب والحمل عليهم ، والصول ضدهم داركاً للثأر منهم ،كما وظف وهب مفردات ذات قدرة تعبيرية عالية تتناسب مع حجم المناسبة التي قيلت فيها ، ولعل تكراره للفظة (ثأر ، وكرب) أضفتا على النص تجانساً صوتياً ، كما عمقتا المعنى المنشود ، مُبيناً بأن جهاده في هذه المعركة هو ليس باللهو ، بل جهاد مدروس مُنطلق من نصرة الحق والذود عنه ، وبذلك استطاع وهب أن يرتقي إلى مصاف الأبطال ، وأن يسجل لنفسه تاريخاً مشرفاً جعله من الخالدين بين الرجال[36] ، ولا سيما بعد أن جسد موقفاً إنسانياً بعيداً عن الانتماء الديني ، بل هو مبني على التكاتف والتناصر والترابط بين الأديان السماوية التي كرمت الإنسان بتشريعاتها .

ويبقى الإمام العباس (ع) مثالاً رائعاً في التضحية والإباء ، يذهلنا بعزيمته ، وصلابة عقيدته ، فهو يتحدث عن فقد يده اليمنى دون أسف ، أو تردد ، مخاطباً أعداه بأن قطع يده لا يثنيه عن الدفاع عن عقيدته ، بل يبقى محامياً عن دينه ، وعن الإمام الصادق اليقين ، وهذا ما عبر عنه بقوله :

والله إن قطعتمُ يميني إني أحامي أبداً عن ديني

وحملتي وصولتي في الحربِ أدركُ ثأري بَعدَ ثأر صَحْبِي

وعن إمامٍ صادقِ اليقينِ سبطِ النبي الطاهر الأمينِ [37]

يتضح من خطاب الإمام العباس (ع) إن قدسية العقيدة ملكت عليهم أحاسيسهم ومشاعرهم ، فلم يشعروا بضرورة الحفاظ على أجسادهم ، ولم يأبهوا لسلامة أعضائهم ، طالما أنهم كانوا في موقف يستهدف الرسالة الكريمة ، إضافة إلى كونهم يدركون إن فقدوا عضواً فإنما يحتسبه الله عز وجل ، والذي سيرفع من درجتهم ، ويزيد من ثوابهم ، فلم يثنهم فقد الأعضاء ، ولم ترهبهم الجراح العميقة ؛ لأن التمسك بالرسالة واستمرار مسيرتها كان أسمى من الأعضاء ، وأعظم من الإنسان ذاته ، وهذا ما يجعلنا نشعر بعظمة أولئك الرجال الذين رافقوا الإمام الحسين (ع) في حربه ، بعد أن ملأ صدورهم الإيمان ، وتصاعدت في عروقهم عظمة المبادئ ، فكانوا يواجهون المواقف الحاسمة بقلوب تعشق التضحية إلى درجة الاستشهاد .

وبعد أن رأى الإمام الحسين (ع) أخيه أبي الفضل العباس (ع) صريعاً على شاطئ الفرات ، أخذ يرتجز وهو يخاطبهم بقوله :

تعديتمُ يا شرَ قومٍ ببغيكم وخالفتمُ دين النبي محمدا

أما كانَ خيرُ الرسلِ أوصاكمُ بنا أما نحنُ من نسلِ النبي المُسددا

أما كانت الزهراء أمي دونكم أما كانَ من خيرِ البريةِ أحمدا

لَعنتم وأخزيتم بما قد جنيتمُ ستصلون ناراً حرها قد توقدا [38]

أراد الإمام الحسين (ع) في خطابه كشف زيف جيش ابن سعد وتعريتهم أمام الملأ ، ولا سيما بعد أن وصفهم بأنهم (شرَ قومٍ) بسبب ما ارتكبوه بحق آل الرسول (ص) مذكراً إياهم بمخالفتهم دين النبي (ص) من خلال نكرانهم لوصيته ، وابتعادهم عن مبادئ الدين الإسلامي التي جاء بها ، إضافة إلى تجاهلهم لنسل النبي (ص) وذريته ؛ من أجل تحقيق

أطماعهم الدنيوية والسلطوية ، لذا نجد الإمام الحسين (ع) يتوعدهم بالخزي والعار في الحياة الدنيا ، والعذاب الأليم في الحياة الآخرة ، وبذلك كان خطاب الإمام الحسين (ع) خطاباً حجاجياً هادفاً ، مبني على الأدلة والبراهين التي تكشف زيف ومعادن هؤلاء المنافقين .

ويستمر الإمام الحسين (ع) بمخاطبة أعدائه ، محاولاً بهذا التكرار التركيز على ثباتهم على مبادئ الدين ، وما رسمه لهم جدهم خاتم النبيين (ص) من أصول عقائدية ثابتة لا يمكن الانثناء عنها حتى في أصعب الظروف ، وهذا ما جسده بقوله :

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني

أحمي عيالاتِ أبي أمضي على دين النبي [39]

ومن خلال ما تقدم اتضح لنا أن خطاب الآخر قد اعتمد على أسلوب المحاورة والمحاججة والتساؤل ، إضافة إلى التعريض بالآخر ، وكشف زيف نواياهم وحقدهم الدفين على آل الرسول (ص) كما عني بتصوير مواقف حاسمة عبرت عن شجاعة تفرد بها أصحاب الحسين (ع) فكان إيمانهم بزوال هذه الدنيا وخلود الآخرة قد أثار فيهم رغبة الاقتحام البطولي لحومات الوغى ، دون أن يرهبهم خوف أو تعيقهم عاهة ، بل يدفعهم عشق خاص للشهادة والفداء دون آل الرسول (ع) ، وثمة شواهد أخرى مماثلة للأراجيز التي عرضناها في خطاب الآخر ، إلا أننا حرصنا على الابتعاد عن الإطالة والإسهاب .

نتائج البحث

وبعد هذه الرحلة الماتعة مع أراجيز الطف ، لا بد من وقفة استذكار لما حققه البحث من مقاصد ، وما توصل إليه من نتائج والتي أبرزها ما يأتي :

1- أظهرت أراجيز الطف خطاباً عقائدياً مُعتدلاً يهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي.

2- التعريف بالذات من الأغراض الأساسية التي وظفها الأصحاب في خطابهم ؛ بغية التأثير في نفوس الأعداء ، وبث الخوف بين صفوفهم .

3- التفاخر بالأحساب والأنساب في مطالع الأراجيز ، إذ طالما افتخر الأصحاب بقبائلهم والانتماء إليها ، بالإضافة إلى الفخر بانتمائهم العقائدي .

4- استعان الأصحاب ببعض الفنون البيانية في خطابهم كالتشبيهات والاستعارات والاستفهامات وغيرها ؛ لتوضيح الصورة ، واستجلاء المعنى المنشود .

5- حمل خطاب الآخر بين طياته موقفاً محموداً كالتوجيه ، والدعوة إلى التمسك بمبادئ الإسلام ، بالإضافة إلى هجاء العدو الهادف .

6- اتسمت لغة الأراجيز بالوضوح والإيجاز ؛ لكونها مثلت خطاباً مباشراً لا يقبل الغموض والتأويل .

7- هَدَفَ خطاب الذات إلى ترويض المجاهد لنفسه وتهيئتها للجهاد في سبيل الدين والعقيدة ، والزهد في الدنيا ؛ من أجل الفوز بالجنة ونعيمها الدائم .

8- عني الأصحاب في خطابهم بالحديث عن المعدات الحربية وفي مقدمتها الخيل والسيف والرمح ؛ وذلك لأهميتها وقدرتها على تحقيق الظفر .

9- شكلت الأراجيز ميداناً آخر للمنازلة والمجابهة ، إذ اعتمدت على الجدل والمنطق، وقد ظهرت أهمية هذا الاتجاه نظراً لظهور الصراع الفكري والعقائدي القائم على الحجة ، فأدت الأراجيز دوراً مهماً في كشف ادعاءات الخصوم وتجريدهم من عناصر القوة والهيبة ، إضافة إلى نزع صفة الحق عنهم .

10- توصل البحث إلى أن المعاني والقيم التي أفرزها شعر الأراجيز والتي في مقدمتها الجهاد والإقدام والوفاء وحب التضحية كانت تهدف إلى إصلاح المجتمع ، وتربيته على روح النضال ضد الشر والباطل .

الهوامش:

[1] يُنظر: تاريخ الأدب العربي ، د. شوقي ضيف ، 2 / 67 .
[2] يُنظر : الرجز نشأته ، أشهر شعرائه ، جمال نجم العبيدي ، 252 .
[3] يُنظر : العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، 3 / 400 .
[4]- موسوعة علم النفس ، أسعد رزق ، ص 184 .
[5] - مفهوم الذات ، غازي صالح محمد ، ص 22 .
[6] - بحار الأنوار ، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، ج45 ص18 .
[7] - بحار الانوار ، ج 45 ص 18 .
[8] - م . ن ، ج 44 ص321 .
9 - مقتل الحسين ، أبو مخنف ، ص 58 .
[10] - بحار الأنوار ، ج45 ص 40 - 41 .
[11] - م. ن ، ج45 ص40 .
[12] - م. ن ، ج45 ص50 .
[13] - مقتل الحسين ، أبو مخنف ، ص 81 .
[14] - بحار الأنوار ، ج45 ص32 .
[15] - لسان العرب ، ابن منظور ، ج ص 151 .
[16] - تمثيلات الهوية والآخر ، بو شعيب الساوري ، ص 52 .
[17] - يُنظر : فنون الآخر وآدابه ، جابر عصفور ، ص 78 - 80 .
[18] - م. ن ، ص 78 - 80 .
[19] - بحار الأنوار ، ج45 ص14 .
[20] - يُنظر نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، ج3 ص 224 .
[21] - يُنظر : البطل في التراث ، د نوري حمودي القيسي ، ص 32
[22] - بحار الأنوار ، ج45 ص 25 .
[23] - يُنظر : شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة 23 هجرية ، د. أيهم عباس حمودي القيسي ، ص 78 .
[24] - بحار الأنوار ، ج45 ص27 .
[25] - م. ن ، ج45 ص 28 .
[26] - يُنظر :البطل في الشعر الأموي ، شادان جميل عباس ، 78 - 79 .
[27] - بحار الأنوار ، ج45 ص 27 .
[28] - م. ن ، ج45 ص 22 .
[29] - يُنظر : البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، د. مؤيد اليوزبكي ، 270 - 271 .
[30] - بحار الأنوار ، ج45 ص25 .
[31] - م. ن ، ج45 ص 43 .

[32] ـ مقتل الحسين ، أبو مخنف ، ص 73 .
[33] ـ يُنظر : عقدة اللون في شعر عنترة وسحيم ، حسين عبد الزهرة زبون ، ص 51 .
[34] ـ بحار الأنوار ، ج45 ص 319 .
[35] ـ م. ن ، ج45 ص 13 .
[36] ـ يُنظر : شعر شعراء المسيحية في العصر الجاهلي ، د. صباح إيليا القس ، 173 .
[37] ـ بحار الأنوار ، ج45 ص 40 .
[38] ـ م. ن ، ج45 ص 41 .
[39] ـ بحار الأنوار ، ج45 ص 49 .

المصادر والمراجع

1. بحار الأنوار ، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة المصححة ، 1403هـ - 1983م .
2. البطل في التراث ، د. نوري حمودي القيسي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ، 1982 م .
3. البطل في الشعر الأموي ، شادان جميل عباس ، دار غيدان عمان الأردن ، الطبعة الأولى ، 2018 .
4. البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، د. مؤيد اليوزبكي ، دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ـ الطبعة الأولى ، 2008م .
5. تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، (د.ت) .
6. تمثيلات الهوية والآخر ، قراءة في ثلاثة نصوص روائية ، قراءة مغربية (الهوية والتخيل في الرواية الجزائرية) بو شعيب الساوري ، رابطة أهل العلم ، الطبعة الأولى ، 2008.
7. الرجز نشأته ، أشهر شعرائه ، جمال نجم العبيدي ، مطبعة الأديب البغدادية، 1971م .
8. شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة 23 هـ ، د. أيهم عباس حمودي القيسي ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1986م.
9. شعر شعراء المسيحية في العصر الجاهلي ، د. صباح إيليا القس ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ـ دمشق ، الطبعة الثانية ، 2017 .
10. العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد القرطبي (ت328هـ) ، تحقيق: أحمد أمين ، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1940م .
11. عقدة اللون في شعر عنترة وسحيم دراسة موازنة ، حسين عبد الزهرة زبون ، الطبعة الأولى ـ بغداد ، 2017 م .
12. لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1994م .
13. مفهوم الذات ، غازي صالح محمد ، شيماء عبد مطر ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ـ الأردن ، الطبعة الأولى ، 2011م .
14. مقتل الحسين ، أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف (د ، ت) .
15. موسوعة علم النفس ، أسعد رزق ، مراجعة عبد الله عبد الدايم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1987 م .

16. نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الثقافة والإرشاد القومي (د. ت)
.

المجلات والدوريات:

- فنون الآخر وآدابه ، جابر عصفور ، مجلة العربي ، العدد 437 ، 1998م .